نحن قومٌ تُذيبنا الاعين النجـــلُ على اننا نذيبُ الحديدا
وتراذا لدى الكريهـة احرا ، رًا وفي السـلم للحسان عبيدا

وممَّا يجمل ذكرهُ تحت هذا الفرع اخام اللفظة في مكانٍ لا يصلح لها ولا تصلح لهُ وذلك ان كثيرين من المتسلقين على حرفة الادب تعلق في اذهانهم بعض الالفاظ التي يسمعونها من المتضلعين ويحسبونها فصيحة وجديرة بالاستعمال فيحتالون عليها في كلامهم وينصبون لها الاشراك ليستنبطوا لها محلاً متقلقلاً في عباراتهم ويقحموها اليهِ ولو كانت ليست منهُ ولا هو منها . من ذلك ما جرى بسمعي مني وهو ان واعظًا قرأ رسالة الحجاج الى المهلَّب التي يختمها بقولهِ " والاَّ اشرعت اليكَ صدر الرمح " وجواب المهلب مختومًا بقولهِ " فان فعلتَ قلبت لك ظهر المجنّ " فاستحسن العبارتين وظن ان استعمالها في الصلاة يثبت لهُ طول الباع فوقف امام الجماعة مصليًا وقال بعد الحمد " اللهمَّ اغفر لنا ذنوبنا الكثيرة فاننا قد اشرعنا اليك صدر الرمح وقلبنا لك ظهر المجنّ فلا تعاملنا الاَّ برحمتك الخ " وهذا يشبه ما يحكى ان احدهم واسمهُ طنوس رأى خاتم رجل اسمهُ حسن منقوشًا عليهِ " ظني بالله حسن " فراقتهُ العبارة واحبَّ ان يقلدها فنقش على خاتمهِ "ظني بالله طنّوس". وتبوئة الالفاظ مراتب لا تليق بها كثير في ادبيات العرب ونجد منها العشرات والمئات في المنقول عن فحول الشعراء واكابر الكتَّاب على رسوخ قدمهم في الانشاء وعلو كعبهم في الادب ووقوع مثل من ذكرنا في هذه المناقد يحقق لنا ان الكمال صفة الهيَّة لا قِبَل للبشر بها (ستأتي البقية) فارس الخوري

الانتحار الديني في روسيا

اذاعت الجرائد الاوربية منذ بضع سنوات ان في جنوبي روسيا شيعة دينية تفرض على اعضائها الانتحار . فتوجه الاستاذ سيجورمكي مدرس علم الامراض العقلية والعصبية في كلية كيف بروسيا لتحقيق ما شاع وذاع عنها وكتب على اثر ذلك كتابًا عنوانهُ " وبأ الموت الاختياري والانتحار في مزارع ترنوفا " نقتطف منهُ ما يأتي لما فيهِ من الفكاهة والغرابة ودواعي الضحك والبكاء . قال

موطن هذه الشيعة وادي نهر دنيستر الخصيب في مزارع تحفُّ بقرية ترنوفا التي تخص عائلة كوفالوف . وكانت هذه العائلة من المشقين . ولها مزرعة فيها بناء اتخذهُ المشقون ملجأً يلجأ اليهِ كلُّ من كان منهم مريضًا او على سفر او عاجزًا او مضطهدًا منذ نحو قرن . وظاهر

من هيئة بنائهِ ان مكانهُ طلبوا الاختفاء فيهِ خوفاً على انفسهم من الاضطهاد ففتحوا لهُ المداخل والمخارج الى جميع الجهات تسهيلاً للهرب عند احداق الخطر. وهم لا يخرجون منهُ الاَّ منفردين وخروجهم يكون ليلاً . وليس لهم ما يعملون سوى اقامة الصلوات وقراءة الكتب والتحدث بالاحاديث الدينية

وفي خريف سنة ١٨٩٦ اخذ منهم الهياج مأخذهُ لسبب غير معروف وكانت امرأة اسمها مادام كوفالوف رئيسة على المزرعة حينئذٍ وامرأة اخرى اسمها فتاليا رئيسة على البناء اما الاولى فكانت متقدمة في السن ساذجة محسنة . واما الثانية فكانت شديدة الهمة كثيرة الزهد . كانت تقرأ الكتب الدينية وتتحدث هي وبعض اصحابها عن الاضطهاد والحروب والخدمة العسكرية الالزامية ونهاية العالم ومما كانت تقولهُ ان المنشقين سيقتلون او يسجنون . فتمَّ الاتفاق بين اعضاء هذه الجماعة انهم اذا سجنوا ينقطعون عن الاكل ويلوذون بالصيام حتى يموتوا جوعاً . ولكن خطر ببالهم امر اولادهم وزادت هواجسهم حينما اخذوا يفكرون في مصيرهم بعد موتهم واستولى عليهم القلق واليأس عندما جعلوا يفكرون ان الحكومة تكرههم على المعمودية في كنيستها

وبعد عيد الميلاد شاع ان الحكومة ستشرع في احصاء الاهالي وكتابة اسمائهم وجمع الشبان للخدمة العسكرية فقالت فيتاليا ان الحرب قريبة وان المسيح الدجال سيظهر وان الاكتتاب المذكور ختم الدجال فخيرٌ لهم ان يموتوا بالجوع الاختياري وينجوا من جميع هذه الاضطهادات والمخاوف . فاقترحت بنت عمرها ثلاث عشرة سنة ان يختار الدفن على غيرهِ من وسائل الموت وانما اقترحت ذلك بايعاز من فيتاليا وقالت انهم في السجن يعذبوننا ويقتلوننا فخيرٌ لنا ان نُدفَن احياء . فاستحسنت امها ذلك واستحسنتهُ ايضاً كنَّة ما دام كوفالوف وضمت طفلها الى صدرها وقالت اني لا استطيع تركهُ للهلاك بل افضّل انزالهُ معي الى القبر . الاَّ ان زوجها واسمهُ ثيودور كوفالوف خالف الجميع في هذا الرأي . وكانت فيتاليا تقول انهُ بقدر ما في المطر من القطرات كذلك في جهنم من العذاب لغير المؤمنين . اما المؤمنون فيقاسون العذاب يومين او ثلاثة في قبورهم ثم يدخلون السماء

وكان بعض اعضاء هذه الشيعة يخامرهم الريب في امر الانتحار . ولكنهم عدوا الموت الاختياري شيئاً آخر. فان تاريخ اسلافهم واجدادهم مملوء باخبار الموت حرقاً وغرقاً ودفناً وكانوا احياناً يقدمون على الموت جماعات لينجوا من الاضطهاد واكراه الحكومة لهم على حفظ قوانينها واحكامها . فلما وقف رجال الاحصاء بباب مسكنهم دفعوا اليهم ورقة فيها ما يأتي

نحن مسيحيون ولا يؤذن لنا ان نقتبس بدعاً جديدة ولا نرضى بكتابة اسمائنا ومساكنتنا المرة بعد المرة

وليلة الثالث والعشرين من دسمبر أُقيمت الصلوات ولبس الذين يستعدون للدفن ثياب الموت المخصصة بشيعتهم ودخلوا القبر وهم تسعة رجل عمره ٤٥ سنة وامرأتهُ وعمرها ٤٠ وابنتهُ وعمرها ١٣ وزوجة ثيودور كوفالف وعمرها ٣٢ وولدان لها عمر الواحد ٣ سنوات والآخر طفل رضيع . وامرأة عمرها ٣٥ وشيخ عمرهُ ٧٠ . ثم تقدَّم الرجل المذكور اولاً ووقف بباب القبر من داخل ووقف ثيودور كوفالف ببابهِ من الخارج وسدَّادهُ بالحجارة والتراب وهو قبو ضيق طولهُ ١٢ قدماً وعرضهُ كذلك وارتفاعهُ من وسطهِ خمس اقدام ونصف قدم . وكان مع المدفونين شموع وكتب دينيَّة وصور قديسين

وجرى الدفن الثاني ليلة ٢٧ دسمبر في حفرة تبعد ميلاً عن المدفن الاول. فحفرت حفرة اخرى في احدى زوايا الحفرة الكبيرة ودفن فيها ستة اشخاص بينهم ثلاثة اولاد عمر الواحد ٧ سنوات والثاني اربع والثالث اثنتان . واختلف رجل وامرأتهُ في اللحاق بهم فاخذ ابنتهُ وعمرها سنتان ودخل الحفرة بها ليدفنها معهُ

وفي الخامس من فبراير قبضت الحكومة على فيتاليا وستة اشخاص آخرين لانهم رفضوا الخضوع لقوانين الاحصاء والاكتتاب واودعتهم السجن فابوا ان يأكلوا او يشربوا قائلين ان دينهم يطلب منهم تحصيل عيشهم بعرق جبينهم . واستمروا كذلك اربعة ايام ولو لم تطلق الحكومة سراحهم لظلوا كذلك حتى ماتوا جوعاً

وليلة ١٢ فبراير جرى الدفن الثالث وكان المدفونون اربع نساء وقد توسلن الى ثيودور المذكور ان يحفر القبر لهنَّ فاجابهنَّ الى ما طلبنَ وانزل اختهُ الى القبر ايضاً لان ما المَّ بها من الضعف اثر السجن اضعفها عن النزول وحدها . ثم شرع يهيل التراب على اقدامهنَّ اولاً ثم ابدانهنَّ فرؤوسهنَّ وجعل يدوسهُ بقدميهِ . وقال فيما بعد انهُ لم يسمع صراخ استغاثة منهنَّ وهو يدفنهنَّ

ولما تمَّ الدفن الثالث حزنت ما دام كوفالف على ما جرى وخامرتها الريب والشكوك وشعرت بجسامة عملها واما فيتاليا فشعرت انهُ يجب ان تموت هي ايضاً تجدةً وكانت تهتم باقناع مادام كوفالف ان تموت معها وتخشى صوَر الموت واشكالهُ كلها ما عدا الموت جوعاً . فعينت يوم ٢١ فبراير لتدفن فيهِ ثم أُخر الدفن الى ٢٨ فبراير . فحفر ثيودور واخوهُ ديمتري مدفناً لها وللذين عزموا على الموت معها وهم مادام كوفالف وابنها ديمتري حافر القبر لنفسهِ والباحث عن

حنفهِ بظلفهِ وفيتاليا وصديقان حميان لها ثم سدَّ القبر فتمَّ الدفن الرابع وبلغ بهِ مجموع الذين دفنوا ٣٥ نفساً

ويظهر مما تقدم ان تيودور كوفالف اليد الطولى في ما جرى فانهُ دفن امرأتهُ واولادهُ واختهُ وامهُ واخاهُ بيديهِ عملاً بامر فيتاليا وكانت قد اوصتهُ قبل دفنها ان لا ياكل ولا يشرب بل ينتظر انقضاء العالم بعد يوم او يومين فعمل بالوصية اربعة ايام ولكنهُ لما رأى انهُ لم تقم حرب ولا جاءهُ احد ليقتادهُ الى السجن ولا انقضى العالم خالف الوصية واكل

ولما انتشر خبر ما جرى وسئل عنهُ قال انهم لم يكونوا يظنون انهم يخطئون في طاعة فيتاليا لانها كانت تصوم وتصلي وتقرأ الكتب الدينية وسأل قائلاً لم يهدنا احد الى طريق الحق والصواب

فيرى القارئ من حكاية هذه الشيعة ان الانتحار ليس من مبادئها الدينية كما شاع وان العلاقة الدينية بهِ ضعيفة . بل ان عملها هذا تقليدي سببهُ معيشتها في العزلة والانفراد والجهل المطبق فنشأ اعضاؤها كثيري المخاوف والاوهام فقادهم جهلهم الى اتباع طرق غريبة لمقاومة الاعداء والاخطار الوهمية وهذا كلهُ يقود الى التعصب الديني في افظع حالاتهِ . واذا انقاد رجل بضعف ارادتهِ وتسليمهِ الاعمى ليكون آلة صماء في ايدي الذين بلغ بهم تعصبهم درجة الجنون فلا عجب اذا فعل ما هو اغرب من ذلك

عروسة النيل

الفصل الثاني والعشرون

لم تكن توبة كاترينا خالصة فإن الغيرة اعمت بصيرتها وحرقت فؤادها فاصبحت يتنازعها عاملا الحب والكره ويعيشان بها فتارةً تحن الى لقاء باولين وتارة تصدّ عنها وراجعت ما دار بينهما من الحديث في البستان فصدَّت سكوت باولين حينئذٍ واجوبتها الموجزة دليلاً على توثيق عرى الوداد والحب بينها وبين اوربون فارادت تحقق الامر بنفسها بحيث لا يبقى ثمت مجال للريب

وكان لها منذ الطفولية حليف في جميع اعمالها وصديق تعتمدهُ في قضاء مهماتها وهو انوبيس اخوها في الرضاع وابن مرضعها وكان هذا الفتى نشيطاً مجتهداً فاقام مع والدتهِ في بيت سوسنة الارملة حتى شبَّ فدبَّرت لهُ هذه عملاً في ادارة خزينة المقوقس وكان شغفاً بتربية حمام الزاجل يستخدمهُ في نقل الرسائل فاذنوا لهُ ان يقيم برجاً للحمام على سطح الخزينة وكانت ماري وكاترينا تتكاتبان والحمام ينقل مكاتيبهما فلما مرضت الاولى انقطعت المكاتبة بينهما